الكأس وقطعة النقود

للأديب مصطفى صبحي

هي قصة سمعتها من صديق منذ سنوات ثلاث بقيت في نفسي طول هذه المدة . وقد حاولت أن أكتبها قبل ذلك ، ولكنني كنت دائماً أؤجل كتابتها إلى وقت أكون فيه صافي النفس مرتاح الفكر حتى لا تخرج الفكرة مضطربة ، وحتى أستطيع تحليل كل مواقفها بدقة . وكنت كلما عاودتني ذكرى حوادثها وحاولت أن أمسك القلم ينحدر بي التفكير إلى نواح أخرى من الحياة فاذا أنا تائه في الخيال ، وإذا العواطف تجيش والمشاعر تختلج ، وإذا العقل يزدحم بالأفكار ، وإذا القلم يسقط فأذهب في ملل وصدوف ... ملل من كثرة التفكير ، وصدوف عن الحياة المتشابكة المزدحمة بكل شيء ، بالأفكار وبالأناسي وبالمادة التي تتدفق وتسخر من الناس والناس يعبدونها ويطأطئون لها الرؤوس

قال لي صديقي إن القصة حقيقية وأكد لي ذلك . وكنت قد ظننت أنها قصة خيالية اختلقها قصاص ماهر ، ولم تقع حوادثها فعلا في الحياة ، إلا أن وجودها في ذاكرتي كل هذه المدة جعلني أصدق أنها حقيقية وأتصور أنني عرفت أشخاصها واحداً واحداً من مدة طويلة وشهدت كل ماحدث لهم ، وعرفت الأمكنة التي وقعت بها حوادثها حتى ليخيل إليّ أنني أستطيع أن أزور هذه الأمكنة التي أصبحت معبداً للذكرى ووحياً لشعر حي رفيع

هو الحب أيها الأصدقاء الذي سيلعب دوراً كبيراً في قصتي . ولعل أحداً منكم لم يسأم بعد الحديث عن الحب ، إن كان منكم الشباب فان قلوبكم عامرة به ، وإن كان منكم الشيوخ فان القلوب فتية لا تهرم

فاسمعوا ، اسمعوا أيها الأصدقاء ... انظروا إلى ذلك الشاب الذي جلس أمام مكتبه بعد منتصف الليل كما أجلس أنا الآن تماماً . إنه يزيح الكتب المبعثرة أمامه ويفسح ما بينها مكاناً يتسع لورقة ليكتب فيها خطاباً

إنه قد مل هذه الكتب التي أمامه . هذا كتاب في القانون المدني وآخر في القانون الجنائي وهذا في اللغة اللاتينية ، وهذا في الشريعة ، وهذه قصة لأحد الكتاب الكبار المحدثين ، وهذا معجم وهذا ... وهذا ... أشياء لاعد لها ، كلها قد سئم منها ، فانعطف يتلهى بكتابة خطاب إلى ماجدة قال فيه:

— أحقاً أنت سعيدة يا ماجدة بزواجك من الدكتور ؟ لعله عالج جراحك التي طالما حدثتني عنها أن مقرها في قلبك أليس كذلك..؟ بربك قولي: لا. قولي إنك لا زلت تذكرينني ، وأنك لا زلت تفكرين في ، وإن هذه التعاسة ما هي إلا من معاكسات الأيام وسوف يكون قلبي لقلبك وروحي لروحك ، ولو أن الأجسام بعيدة

سمعتك تقولين في حيرة وابتسام لم أفهم ماذا يختبئ وراءهما : « لم لا يا أحمد ؟ أنا على واجب ، وما حصل إنما هو فعل القدر ، ويجب أن تكون عاقلا. »

ثم هربت من أمامى مسرعة لا تلوين على شئ . أقد تغيرت بهذه السرعة ؟ كلا . . لا أظن . أنا أعلم أنك توفين الواجب حقه . أنا أفهم الموقف جيدا ، ولكنى لست فى كل الحالات هادئا كما أنا الآن . أنا ياماجدة فى بعض الأحيان أثور وأصخب وأحطم الدنيا بأسرها . أمزق العالم . أنا وحش عند ما أثور لأنى أخفقت فى حبى ، لأن وردة حبى ازهرت لكى يقطفها الآخرون ، لكى يقطفها من ليس له قلب بيد جشعة مرتعشة كلها الأنانية والمادية .

كلا ياماجدة . لا واجب هناك . سأحطم التقاليد . سأحطم هذا الواجب الذى حدثتنى عنه منذ أيام بعد زواجك . سأحطم كل شئ وسوف ترين »

كتب هذه الكلمات الأخيرة بسرعة وبيد مرتعشة عصبية ، وقد هاج شعوره فى هذا الصمت الشامل وكادت دموعه تطفر من عينيه عند مارآى حالته الراهنة . حياة غير مستقرة ، ودراسة متواصلة مضنية ، وإخفاق فى الحب ، وتمرد على الدنيا وعلى التقاليد والحياة والقيود الاجتماعية . ألقى القلم وسرح فكره فى عالم آخر . وفجأة سرت فى السكون نغمة حنون من منزل بعيد فأنصت إليها . إنها تضطرب كأنها شجون الليل بيديها بلا تكتم . إنها تتعالى فتتعالى بالنفس وتسمو بالقلب والعاطفة والحب ، وتعبر عن معان أخرى لا يعبر عنها بالألفاظ ، فهى معان مبهمة إن عبر عنها بالكلام فسدت وقل مالها من روعة وجمال .

خفت الصوت وتلاشى فى الفضاء ، وبقى أحمد ساهما يردد فى ذاكرته النغمة الحنون ، فهدأت نفسه ونظر إلى الورقة التى أمامه وعاد إلى القلم وكتب :

« كثيرا ما رجعت إلى نفسى أحاول أن أوحى إليها أننى أستطيع أن أعيش بدونك وأن أنساك إلى الأبد ، وكم أكون سعيدا لو استطعت ، إلا أننى لا أستطيع ياماجدة أبدا . كما أننى لا أنسى هذه الفترة التعسة من حياتى ، فترة الخيبة والضعف . الضعف إلى درجة أننى لم أستطع أن أغير شيئا وأنا أرى الدكتور عبد المجيد يتقدم طالبا يدك ، فيغرى أباك ، فيقبل هذا أن يبيعك إليه مغترا بمركزه وماله ، ذلك الطبيب المريب الجبان ؛ وأنت لم تستطيعى مطلقا أن تنبسى ببنت شفة ، ولم تستطيعى أن تحركى ساكنا ، فقدموك إليه جسما إلى جسم لا قلبا إلى قلب . »

شعر أحمد بضيق فى تنفسه فسعل سعالا حادا خفت وطأته شيئا فشيئا وظهر على عينيه أثر من الدمع فأخرج منديله ومسح به أجفانه وجبهته . وظل هادئا فترة قصيرة من الزمن . فظهر فى السكون صوت حركة خفيفة أعقبها صوت والدته تقول فى نغمة متعبة وسنى :

« قم ياأحمد إلى فراشك . يكفيك هذا السهر يابنى . قم هداك الله واستيقظ المذاكرة حتى الصباح فالنهار طويل »

مرت فترة سكون طويلة ولم يرد أحمد بكلمة . وبقى صامتا ينظر إلى حجرة النوم المجاورة ، فعادت أمه تناديه : أحمد . أحمد . . وكان الصوت يتردد فى الردهة فيرجع صداه ويملأ المكان روعة ورهبة . فرد أحمد بصوت ممتلئ فيه رنة الاستياء :

— نامى أنت يا أماه . دعينى أقرأ قليلا فأنا لا أستطيع القراءة إلا فى الليل . إنى أنام أكثر النهار فنامى أنت واستريحى

— وهل يعجبك أني أظل قلقة هكذا طول الليل ؟ أنا لن أستريح إلا إذا نمت . قم يا بنى أراح الله قلبك

فأطاع أحمد رغبة والدته ورد عليها باستياء : « هأنذا قمت »

وقام وأدار زر الكهرباء فساد ظلام ولم يبق إلا نور ضئيل منبعث من مصباح صغير في الردهة . وذهب إلى فراشه ونام

ظل يفكر — وهو مضطجع على ظهره — فيما قالته له والدته . وفكر في حنانها وفي الخشونة التي قابلها بها وندم . وقال في نفسه : إن حنان هذه الوالدة المسكينة كثيراً ما يسبب له شقاء وقلقاً . فهى لا يهدأ لها بال ما دام سهران ، ولا يمكن أن تنام أو تستقر على حال إذا كان خارج المنزل ، أو إذا تأخر عن ميعاده ساعة . وهو يتألم من ذلك ؛ وكثيراً ما يثور فتهدئ هى من ثورته وترجعه إلى نفسه وتحاول إفهامه ما تعانيه من التعب إذا غاب عنها لحظة قائلة : « يا بنى أنت لا تعرف ما هو قلب الأم » ثم تعقب على ذلك بأمثلة عامية لها موسيقية لذيذة صادرة عن براءة وصدق

تذكر قولها « قم يا بنى أراح الله قلبك » وقال في نفسه : هل يمكن أن يجاب هذا الدعاء وأين لقلبه أن يستقر ؟ إنه لا أمل له في الحياة بعد ذلك ، لقد فقد كل شيء في هذه الدنيا

* * *

قضاها ليلة كباقى الليالى كلها أحلام متقطعة لا معنى لها . وقام في الصباح وكان أول شيء فكر فيه هو حادث زواج ماجدة من الدكتور عبدالمجيد ، ماجدة التى تعبده ... ماجدة التي عاهدته على ألا تكون لغيره وأن تخلص له مدى الحياة . وقف بجانب فراشه واتكأ على حافته ووضع يده تحت ذقنه وراح يفكر . ما قيمة الحياة ؟ إن كل هؤلاء الناس ليسوا سوى أشباح قصيرة الممر تروح وتجىء ولا تعرف إلى أين المصير . تحركها العواطف ثم تندثر في النهاية كأنها ما كانت ، فيستوى الطيب والشرير والجميل والقبيح والمحب والجامد القلب . وما هو الحب ... ؟ ولماذا لا يكون طوع إرادة الانسان إذا أراد كره ، وإذا أراد بدل حبيباً بحبيب ؟ وما هو الوفاء ... ؟ إن كل هذه الألفاظ أصبحت لا معنى لها . ألفاظ جوفاء خاوية لا تحوى وراءها إلا الرياء والكذب والمخاتلة

حاول أحمد أن يطرد هذه الأفكار من رأسه فمشى بكسل إلى مكتبه فوجد الخطاب الذي كتبه بالأمس ماقى عليه كما كان . فتناوله ومزقه ببطء ، وألقاه بدون اكتراث كباقى شيئاً بالياً ، وخرج إلى الردهة وجلس نصف جلسة على منضدة تجثم في منتصفها وتناول سيجارة وأشعلها وصار يدخن ؛ وكان فكره يجول مع الدخان المتصاعد فوق رأسه وهو ينظر إليه شارداً ، وفجأة سقطت السيجارة من يده على ردائه فأخذها بسرعة دون أن تحرقه وصار ينظر إلى ثوبه ويثبت فيه النظر ثم أشار بيده إشارة استهتار وقال في نفسه إن هذه القيود التى في هذه الدنيا ليس لها أى معنى . يجب أن يتحلل منها . يجب أن يصل إلى الحرية والحق والعدل

* * *

وسبح فكره بعد ذلك في الماضى البعيد ، ومرت على ذاكرته كل أدوار حياته منذ أن كان طفلا يسكن مع والده في حى محرم بك في الأسكندرية

بجوار منزل محمود عاصم بك والد ماجدة — وكان إذ ذاك أحد كبار موظفي مصلحة الجمارك — لقد كانت أياماً سعيدة تلك الأيام التي قضاها في تلك البقعة المقدسة ... أيام الطفولة المرحة . أين هي .! لقد ولت كأنها حلم جميل من أحلام الملائكة . أين تلك الأيام الجميلة المرحة حينما كان يلعب هو وماجدة وباقي الأطفال في حديقة منزل والده ، أو حينما كان يغمض عينيه ويجري ليبحث عنها بين أركان الحديقة وزواياها ، أو حينما كانا يذهبان معاً لشراء الحلوى من السوق الذي كان خلف محطة الأسكندرية القديمة — تلك الحلوى التي كانت ماجدة تحبها كثيراً لدرجة أنها أحدثت تآكلاً في أسنانها زادها حلاوة وملاحة وجعل في كلامها لثغة جميلة محببة ، أو حينما كانا يلقيان أسنانهما القديمة إلى الشمس لكي تنبت بدلها أسنان من الذهب . إنه لا يزال يذكر تلك الأيام السعيدة الجميلة ويذكر ولعه باللعب معها في أيام الشتاء ، فقد كانا يقفان تحت شجرة من أشجار الحديقة ينصتان إلى زقزقة العصافير وينتظران نزول المطر ، فيجريان حينئذ في أنحاء الحديقة في فرحة وابتهاج ويجري وراءهما البواب العجوز ويحملهما إلى داخل المنزل والمياه تتساقط من شعرهما ووجنتيهما وملابسهما على الأبسطة وهما فرحان بهذه المخاطرة المرحة الجميلة ولما شاهداه من مناظر الشتاء البديعة الساحرة

ذهبت هذه الأيام وكأنها كانت نغمة حلوة هادئة لم يعكر صفوها شيء ، ولكنها الآن أصبحت ذكرى ، إلا أنها ذكرى تثير الأسى وتبعث الآلام . أين أبوه وأين ثروته التي ضاعت ولم يبق منها إلا ما يكفي لسد نفقاته هو ووالدته التي بقيت له في هذه الدنيا ؟ مات أبوه وكان تاجراً من تجار الثغر ولم يكن هناك أحد يحل محله في تجارته ، وكان أحمد إذ ذاك في الرابعة عشرة وكان لا يزال طالباً فلم يستطع أن يقوم مقام أبيه

كان والده يحبه فقد كان أمله الوحيد في حياته . مات وهو يباركه ويدعو له ، وكانت آخر كلمة قالها وهو على فراش الموت « جعلك الله يابني سعيداً في الدنيا والآخرة »

تزاحمت هذه الذكريات في رأس أحمد وهو متكئ على المنضدة وجعل يقرأ في سره الفاتحة لأبيه وقال في نهايتها « يارب ارحمني وتقبل دعاء أبي واجعلني من السعداء »

ترى أيستجيب الله هذا الدعاء؟ أجل إنه رحمن رحيم . ولكن كيف يسعد وماجدة الآن أصبحت لغيره؟ أتراها تغيرت عليه بعد أن مات والده فلم تعد تحبه ؟ لقد نقل والدها إلى وظيفة أرقى من وظيفته في وزارة الداخلية بالقاهرة ، وبعدت ماجدة عنه فترة من الزمن ، إلا أنها كانت تأتي مع والدها لتقضي فصل الصيف في الأسكندرية ، ولم يلاحظ عليها إذ ذاك أي تغير في عواطفها

كانت هي عزاءه الجميل . وإن نسي فلن ينسى تلك الأيام التي كان يقضيها معها في أيام الصيف على شاطئ « جليم » وقد أصبحا شابين اكتمل عقلاهما ونسيا زق الطفولة ورعونتها . لقد كانت هي كل شيء لديه . امتلأ قلبه بحبها حتى لم يبق به فراغ لأي شيء آخر في الوجود . وقد آمن بهذا الحب وثبت إيمانه بقلبه فما عاد يصدق أن ذلك الحب سيخبو وتبرد شعلته ، وما كان يصدق أنها ستكون في يوم من الأيام لأحد غيره

جد واجتهد حتى نال شهادة الدراسة الثانوية ، وسافر هو ووالدته إلى القاهرة واستأجرا منزلها الذى يقطنان به الآن والتحق بكلية الحقوق ، وكانت ماجدة طالبة فى كلية الطب . وكم كان سعيداً لوجوده معها فى بلد واحد ، وكم كانت جميلة هذه الأيام التى قضاها معها في القاهرة لولا ذلك الدكتور الذى ظهر لها فجأة واختطفها منه

لقد كان أبوها رجلا لا يعرف معنى العاطفة ، وكان قاسياً شديداً على ابنته فلم تستطع أن ترفض هذا الزواج أو أن تنطق بكلمة واحدة . وكان أحمد قد ذهب إليه عند ما علم بالخطبة وطلب منه يد ماجدة رغم أنه لا يزال طالباً ورغم أنه فقير لا يملك شيئاً ، فرفض طلبه ورده والأسى يكاد يفتك به واليأس يكاد يقتله

هكذا كان القدر ، وما ذا يفعل إذن ؟

عبثاً حاول أحمد أن يوقف تيار هذا التفكير ، فقام وأدار الراديو وكان اليوم يوم جمعة فسمع صوت القارئ يرتل قوله تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً) وكان صوت القارئ عذباً جميلا وكان يرتل هذه الآيات بإيمان وإخلاص أثرا فى نفس أحمد . فعقب على قول القارئ بصوت ملئ بالخشوع والايمان « صدق الله العظيم » واستمر ينصت إلى آيات القرآن الكريم فوجد فيها عزاء عظيما وذهبت عنه بعض أحزانه وأتى موعد الصلاة فقام وتوضأ وذهب إلى المسجد ليصلى

* * *

وقف الخطيب على المنبر وصار يخطب فى الناس بصوته المتماثل النغمات والناس يسمعون كلماته فى صمت وخضوع . وكان أحمد ينصت إليه بانتباه كأنه متشوق لسماع شيء جديد هو فى حاجة إلى سماعه ، ورن فى أذنه صوت الخطيب وهو يقول : (يا أيها الناس لا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق. وإياكم والزنا فانه جرم لو تعلمون عظيم)

وفى هذه اللحظة التى كان أحمد ينصت فيها إلى بقية الخطبة كان الدكتور عبد المجيد جالساً فى منزله على مقعد كبير مكسو بالجلد فى ردهة مفروشة بأثاث هو على بساطته آية فى الأناقة وحسن الترتيب ، فدخلت ماجدة من باب مقابل فنظر إليها طويلا نظرة عطف يداخلها شيء من الشك ولكنه مستور وراء حجاب من المكر

وبادرها بقوله :

— مالك يا ماجدة ؟

— لاشيء

— إياك أن تكونى متكدرة لأننا لم نسافر لقضاء شهر العسل فى بلد بعيد . إذا كان الأمر كذلك فانك جد مخطئة ، فأنا عازم على تقديم مفاجأة مدهشة جداً لك (وضحك ثم مد لها يديه وقال)لك أنت ياحبيبتى يا أعز مخلوق لدى (واقترب منها وهو يقول) كنت عازماً على ألا أبوح لك بهذه المفاجأة ، ولكن ما دمت متكدرة فسأقولها لك الآن (وضمها إلى صدره وقبلها) إننا سنذهب عندما يأتى شهر مايو إلى سويسرا رأساً لنقضى فيها شهر العسل ثم نرجع فى طريقنا إلى فرنسا وإيطاليا واليونان . وربما ذهبنا إلى لبنان حيث نعود بالطائرة فهل أنت مسرورة من هذه الرحلة؟

— أنا لست متكدرة أبداً وحتى إذا كنت

متكدرة فأنا لا أتكدر من شيء مثل هذا ، فأنت لديك أعمالك، وليس من الضروري أن تتركها في هذا الوقت، فدع هذه الرحلة لفرصة أخرى فالفرص أمامنا كثيرة نسافر فيها إلى أي جهة نشاء . وليس من الضروري أن نسافر إلى الخارج . وهل رأينا بلادنا حتى نذهب لنتنزه في الخارج ؟

— هكذا أريدك دائماً . بالله رفهي عن نفسك قليلا ... إضحكي والله

فقبلها بين عينيها وفي وجنتيها بشغف وهو يقول : أنت ملاك يا ماجدة .. أنت ملاك

***

عاد أحمد بعد أداء فريضة الجمعة إلى المنزل وهو لايزال يفكر في حالته . إنه يكاد يجن ، إنه يطلب من الله في ضراعة أن يريحه من هذا العذاب وأن ينتزع من قلبه حب ماجدة فلا يفكر فيها بعد ذلك ولا في زوجها الذي يمقته من كل قلبه ويود لو يسحقه سحقاً

أيذهب إليه في عيادته ويرديه قتيلا على مرأى من مرضاه ؟ أم يذهب إليه في منزله ويقتله هو وماجدة في ساعة يكونان فيها غارقين في بحر من السعادة والحب ؟ وأيهما ذلك الرجل القاسي ؟ إنه يحتقره ولا يريد أن يراه ، إنه يود لو يفتك به هو أيضاً .

ولكن ها هي ذي كلمة الخطيب ترن في أذنه : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) إذن ماذا يفعل؟ إنه إذا لم يصنع شيئا فهو قاتل نفسه لا محالة دون أن يشعر . إنه ينتحر ببطء .

كيف يستطيع أن يصبر على هذا الشقاء ؟ وكيف يتحمل هذا بعد هذه السنين التي قضاها هو وماجدة في هناءة وسعادة ؟ ماذا يفعل إذا هزه الشوق لرؤيتها والتحدث إليها وسماع صوتها العذب ؟ أيتسلل مثل اللصوص إلى منزلها ليظفر منها بابتسامة أو كلمة؟ أم يقتحم منزلها ليلا ويختطفها ويذهب إلى حيث لا يعلم إلا الله ؟ أي خيال مضحك ذلك الذي يداعب أفكاره وهو مضطجع على فراشه وقت الظهيرة بعد الصلاة ؟ إن هذه الحياة كانت ممكنة في العصور الوسطى حين كانت الفوضى ضاربة في الأرض ، وحين كانت قوة الانسان ممثلة في الفرد ، فهو وحده كان أمة ، وكل الدنيا كانت وطنا له يضرب فيه أين شاء وأنى يشاء . وهو قدير على اجتلاب الرزق في كل وقت وفي أي مكان .. لقد أصبحت الأفكار والأخيلة تسخر من عقل أحمد وتجعل منه ألعوبة . والحق أن الصدمة كانت قوية عليه وهو لا يزال في سن صغيرة ووراءه أمه المسكينة وأمامه مستقبله فما كان هناك شيء يستطيع أن يتلهى به سوى الخيالات المضحكة والأماني الكذاب .

***

مرت الأيام متشابهة ممولة ، وكان أحمد يقضي معظم أوقاته في مقهى مواجه لمنزل الدكتور عبد المجيد. ولمحه الدكتور مرارا وهو يحوم حول المنزل . والحقيقة أن أحمد لم يقابل ماجدة بعد زواجها إلا مرة واحدة حين وجدها مصادفة خارجة من منزل إحدى صويحباتها .

وقد وجد أحمد في يوم من الأيام أن الفرصة سانحة لرؤية ماجدة فقادته قدماه بدون تفكير وصعد إلى المنزل ودق الجرس، وكان قلبه يخفق بشدة، وكل عضو من أعضاء جسمه ينتفض ، وفتحت ماجدة الباب بنفسها فدخل بدون استئذان وأغلق الباب

ووقفت ماجدة أمامه مبهوتة جازعة وقالت :

— أحمد! لماذا أتيت ؟

— لم أستطع أن أتحمل أكثر من ذلك يا ماجدة . سأجن

فملكت ماجدة عواطفها وقالت له بلهجة حاسمة :

— أرجو يا أحمد أن تعود من حيث أتيت فليس هذا مكانك

فبدا التأثر على وجهه وقال غاضباً :

— أتطردينني يا ماجدة من منزلك ، ذاك الذي كان يجب أن يكون منزلي ... آه ... إنك غافلة . أنا حضرت الآن لآخذك بالقوة ، وإذا مانعت فسأقتلك وأقتل الدكتور عبد المجيد

فقالت ماجدة منفعلة : أحمد ! أرجو أن تتركني للأقدار . . وخارت قواها فارتمت على أحد المقاعد وأجهشت بالبكاء وهي تقول : إنني أتعذب يا أحمد ... إني أتعذب ...

فاقترب منها أحمد وقد أثار هذا المنظر أعمق عاطفة في نفسه ، وحركت دموعها المنهمرة في مرارة وأسى كل أشجان قلبه ، ولكنه ملك زمام نفسه وذهب إليها وجلس بجانبها وقال :

— ماجدة ... أتبكين ... لا ، قومي فأنا ذاهب. لن تريني بعد الآن . لقد كنت مجنوناً . أنا كنت أريد أن أراك . كنت أود أن أسمع صوتك . صحيح أنك الآن لست لي

وهم أحمد بالخروج فأمسكت به ماجدة ونظرت إليه نظرة حيرة وتوسل ، فدفع يدها ببطء وقال لها :

— دعيني أذهب ، فلست أنا أحمد القديم . لقد أصبحت تحبين زوجك حتى الجنون . دعيني

فانتفضت ماجدة وكأنما أعادت هذه الكلمات ذكرياتها القديمة ، وقالت له والدموع لا تزال تجول في عينيها :

— إرحمني يا أحمد . إرحمني . ماذا يمكنني أن أفعل ؟ إنني إذا خنت زوجي فلن أسلم من ضميري وإنني الآن صابرة على حكم القدر . آه يا ربي . ياليتني كنت مت

فنظر إليها فجأة وقال لها في ثبات وعزيمة :

— اسمعي ، هيا نهرب

— إلى أين ؟

— إلى حيث يشاء الله

— ووالدتك لن تتركها ؟ إنها تموت من أجلك . وأبي ماذا يكون موقفه أمام الناس ؟ لا لا يا أحمد كن عاقلا

— إذن سأذهب ولن تريني بعد الآن

فعاد اليأس والحزن يرسمان على وجنتيها صورة رائعة من الدموع ثم قالت له :

— تعال يا أحمد ، ولكن لا تدع أحداً يراك

* * *

كانت مخاطرة شائكة تلك التي أقدمت عليها ماجدة ، وقد ظل أحمد يزورها في منزلها في غياب زوجها ، وإن هذا اللقاء وإن كان قد أحاطته العفة في مبدئه إلا أنه قرب الجريمة إلى نفسيهما شيئاً فشيئاً ، فالانسان مهما وبلغت نفسه من القوة والسمو فانه يصل أحياناً إلى درجة من ضعف الارادة يستوي فيها مع الحيوان

إن هذا هو رأيي . ولست أدري إلى أي درجة وصل إليها أحمد هو وماجدة أثناء تلاقيهما في بيت الزوجية ؟ إنني أعرف أن أحمد كان شاباً مهذباً ولو أنه كان طائشاً إلى حد ما ، وأن ماجدة كانت فتاة

رقيقة الاحساس ذات ضمير حى وأخلاق عالية

لقد داخل الدكتور عبد المجيد الشك فى زوجته ، وظن بها ظن السوء خصوصاً وقد علم ما كان بينها وبين أحمد من علاقة سابقة ، وإلا فما هذا الجمود الذى يلاحظه عليها ؟ وما هذه المعاملة الجافة التى يلقاها منها فى بعض الأحيان ولم تمض مدة طويلة على زواجهما ؟

على أنه قد دهش حينما وجد زوجته قد تغيرت فجأة وصارت تتكلف الابتسام وتحاول أن تجمل كل معاملاتها له أكثر رقة ، وأن تكون فى كل حالاتها أكثر بشاشة مما كانت قبل . غير أن ذلك كان مما قوى الشك فى نفسه فانه شخص مجرب يعرف الابتسامة المزورة من الابتسامة الحقيقية . لقد دبت الغيرة فى نفسه وعزم على أمر ...

دخل المنزل متجهماً فى مساء أحد الأيام وأخبر زوجته أنه مسافر إلى الاسكندرية لأمر هام وسيرجع إليها فى ظهر اليوم التالى ، وخرج مسرعاً وركب سيارة واتجه إلى محطة القاهرة

فجاء أحمد كعادته فقابلته ماجدة بفرحة غير معهودة وأخبرته بأن زوجها سافر وأنه يستطيع أن يجلس معها فى جو من الحرية أكثر مما تعود . وما كادت تندمج فى هذه الحرية حتى بدت لها صورة زوجها يفتح باب داره ، فارتدت إلى صوابها وتنازعتها أفكارها حتى طوى هذه الأفكار أحمد بحديثه العذب الذى انتهى بأن أغراها بتناول كأس من الخمر معه لكى يضيعا مابهما من وساوس ويذهبا ما يتملكهما من أفكار

وما كادا يعدان العدة لذلك حتى دخل الدكتور عبد المجيد ووقف بجوار الباب وعيناه تقدحان شرراً فقام أحمد ووقف أمامه وجهاً لوجه ، وصرخت ماجدة لما رأت زوجها وجثت باكية تحت قدميه تطلب منه الصفح ، فركلها بقدمه ، وأخذ ينظر إلى وجه غريمه بقسوة ، وجعل يتفرس فى وجهه ، وقال وهو يرتعد :

« آه يا سافل ... آه يا جبان ! » وهجم عليه وأمسك بعنقه ، واشتبك الرجلان فى عراك عنيف وكان أحمد قوى الجسم فاستطاع أن يفلت من قبضة خصمه ويلقيه على الأرض ووقف ينظر إليه وهو يلهث فى غضب واهتياج ، وقام الدكتور وأخرج من جيبه مسدساً وسدده إليه وقال :

— إنى سأقتلك يا سافل يا وغد . وحاول أن أن يضغط على الزناد ولكنه كان مغلقاً . وفى هذه اللحظة لمح زوجته ملقاة على الأرض وقد أغمى عليها من هول الموقف ، فقال : « إنها هى التى تستحق القتل » . ثم عاد إلى نفسه وقال : « ولكن هذا فظيع ... إسمع يا هذا ، لقد وهبتكما الحياة . إنك تحبها وهى تحبك ... هذا حسن » فأفاقت ماجدة وقالت بصوت مذبوح : سامحنى ياعبد المجيد لقد أخطأت ! فوضع المسدس فى جيبه وذهب إلى الباب وأغلقه وأنهض ماجدة وأجلسها إلى المائدة التى أعدتها وأمر أحمد بالجلوس أمامها وسكب الخمر فى كأسيهما وقال لها وهو يضحك ضحكة قاسية :

— إشربا نخب هذه الليلة السوداء

فامتنعا عن الشراب فأخرج مسدسه وصاح بهما بصوت هائل والشرر يتطاير من عينيه :

— إشرب ... إشربى ...

فشربا . فانفرجت أسارير وجهه وصار يشرب هو كذلك كأساً بعد كأس حتى أتى على ما فى

الزجاجة ولعبت الخمر برأسه فقال لأحمد :

— الآن هات ثمن الليلة وثمن الخمر أيها التلميذ الصغير ...

فنظر إليه نظرة قاسية وقال له : أيها الحيوان!!

فسدد إليه الدكتور مسدسه وهو يقول :

— ثمن الليلة وإلا قتلتك فى الحال

فأخرج أحمد ريالاً كان فى جيبه وألقاه على المنضدة قائلا :

— خذ هذا ثمناً لهذا المشهد التمثيلى الذى قمت به ... فقال له :

— شكراً ... الآن تستطيع أن تخرج ولست أريد أن أرى وجهك بعد هذه المرة ثم دفعه بشدة إلى الباب

ومضت هذه الليلة وكأنه لم يحدث شئ . ولما أصبح الصباح نادى الدكتور عبد المجيد زوجته وأخرج من جيبه قطعة النقود ووضعها تحت الكأس التى شرب منها أحمد وقال لها بصوت خافت : سيبقى هذا الريال هنا إلى الأبد ، وإذا انتقل من مكانه فأنت طالق .

أصيب أحمد بصدمة عصبية قوية ألزمته الفراش . ولما أبل من مرضه علم أن ماجدة ماتت . لقد كان الدكتور عبد المجيد يستطيع أن يرحمها ويرحمه فيقتلهما فى تلك الليلة المشؤومة ، إلا أنه اختار لزوجته موتة أخرى بطيئة ، بواسطة الكأس وقطعة النقود وترك أحمد يعود إلى الحياة ويبنى مستقبله على أنقاض الماضى الحزين .

مصطفى صبحى

الجودة الفائقة و الذوق الجميل
والثمن المعتدل
تلك هى العوامل الثلاثة التى تسير عليها
شركة مصر لنسج الحرير
عند ما تنتج أفخر أنواع الأقمشة الحريرية
ألحوا فى طلب منتجات
شركة مصر لنسج الحرير
إحدى مؤسسات بنك مصر